عبد الحميد الديب

شاعر البؤس والفاقة والحرمان

للأستاذ علي متولي صلاح

من أراد أن يلتمس حظ الأديب في الشرق ، وما يلاحقه من فاقة وحرمان ، وما تضطرب به حياته من أوجاع وآلام ، فليلتمس ذلك كله في حياة عبد الحميد الديب

ذلك شاعر قطع حياته غريباً عن هذا العالم الذي يعيش الناس فيه ، لم يكن يدري أنه حيّ ، لأنه لا يُرزق والأحياء يرزقون !

صدقتْ عنه النعم جميعاً ، وحلّتْ به النقم جميعاً . عاش لا يعرف السكن ، ولا يعرف الأهل ، ولا يعرف الوطن

حاول مرةً أن يتخذ لنفسه سكناً كما يفعل الناس ، وأن يعيش مثلهم ذلك العيش الرتيب المريح ، فجمع كل عزمه ، واستأجر غرفة في أحد الأحياء الوطنية بالقاهرة ، وأقام بها أياماً يفترش أرضها ويلتحف سماءها ، ثم تأمّل حياته فيها ، ومُقامه بها فقال :

أراني بها كلّ الأثاث فمطفي وساد لرأسي أوْ وقاء من البرد !

وهجرها إلى غير رجعة وعاد إلى ضلاله وتيهه !

عاش هذا الفنان البائس لا يعرف المال إلا من فضل ما يمنحه إخوانه من دراهم معدودات يسد بها بعض رمقه ، ويقضي بها بعض لبانته ، ولكنها لا تكاد تفي له بشيء ، فعاش على الجوع والطوى ، إنْ أصاب طعام يومه ففي ذمة الحظ والمصادفة طعام غده ، وأخيراً جدّ أرادوا به خيراً ، فوظفوه في وزارة الشؤون الاجتماعية براتب هو جنيهات خمسة ! فقبل الوظيفة راضياً شاكراً ، وذهب إلى « الديوان » نشوان فرحاً ، حامداً الله على نعمته ، والتمس كرسيّاً يجلس إليه ، ومكتباً يعمل عليه فلم يجدْ ، فأرسل إلى الوزير يقول :

بالأمس كنت مشرّداً أهليّا واليوم صرت مشرداً رسميّا !

وبعد ثلاثة أشهر من توليه هذه الوظيفة ، لفظ الشاعر آخر أنفاسه ، وقضتْ عليه علّة طارئة لم تجد العلاج النافع

كانت هذه المحن التي ألمت بهذا الشاعر ، وطاردته طول حياته لا يكاد يفر منها إلا إليها ، وهذه النكبات التي انصبت على رأسه لا يعرف عنها منصرفاً . كان كل ذلك مُلهباً لنفسه ، مثيراً لحفيظته . رأى الحرمان الشامل يحيط به ويُلازمه فحقد على المجتمع ووجد عليه ، وهو الأديب الفنان ذو الحس المرهف ، واستحال الشاعر جحيماً من العداوة والكره والبغضاء للناس ، تغنّى آلامه وأوجاعه بالبليغ الجزل مما عرفت العربية من شعر الشكوى والأنين ، كنتُ — وأنا بعدُ في صدر الشباب — أغشى مجالس الأدباء والشعراء في العاصمة فما رأيتُ — علم الله — مصدوراً يُنفّس عن كربته إلا بشعر عبد الحميد الديب ، ولا مُؤلماً يشكو آلامه ، ولا متعباً يشكو أوجاعه إلا بشعر عبد الحميد الديب وهو هو النكرة المجهول المحروم المقصيُّ عن الناس بفقره وخصاصته

لك الله أيها الأديب ، ولكم الله أيها الأدباء ، أنتم بحقّ

من نفسها طائفة مختارة[1] كما يدعون ، وعلى كل فلم تنتج النازية كما لم تنتج الشيوعية بطلاً من أبطال الدرامة أو المسرح يعتد به ، ولعل هذا راجع إلى أنهما لم تسلخا في التجربة أكثر من ربع قرن بعد . وها هي ذي تلك الحرب العالمية القائمة قد أخذت تحصد الأرواح الفينانة التي أبقت عليها الحرب السالفة ، كما أخذت تضاعف آلام الإنسانية وأحزانها في كل مكان ، ولم تتوحش هذه الحرب بعد كما توحشت في الأعوام الثلاثة الماضية بين النازية والشيوعية . أليس كل من النظامين إنما يؤمن بالعلم وحده ويريد أن تأتيه الفنون والآداب والأخلاق والأديان طائفة مختارة ؟

(يتبع) دريني خشبة

---

(١) معرض الآراء الحديثة لدكنسن ترجمة الأستاذ محمد رفعت

جنود هذا المجتمع المجهولون ، تحترقون أيها الأدباء لتنيروا للناس، وتجوعون أيها الأدباء لتشبعوا الناس ، وتعرون أيها الأدباء ليكتسى الناس ، وأنتم - بعد - لا تنالون منهم جزاء ولا شكوراً شدَّ ما مَنَّى غروراً نفسه تاجر الآداب فى أن يربحا !

أما أنت يا عبد الحميد ، فبيات أملك وصفك الحق للناس — وقلَّ فيهم من يسرفك — هيهات يا عبد الحميد أن أعطيهم عنك صورة صادقة صحيحة سليمة لنفسك ولتاعبك وشقائك ، فلأعرض عليهم بعض شعرك ليعرفوا يا عبد الحميد من أنت

١ — دمع المنازل

بِوَادٍ كدار الخلد رَبَّ المنازل حيتُ فما لى لا أفوز بنائل ؟
أقاسى به فى ليله ونهاره معيشة أفَّاق ووحدة ناكل
وكم سألونى كيف تشقى مع الحجى
وفى شعرك الهامى عذاب المناهل ؟
تقلت بهذا الشعر بؤسى وشقوتى كما قتل الصدَّاحَ زهر الحمائل
فلا تسألونى عن دمائى وسفكها سلوا بدمى الغالى جريمة قاتلى
فكم مرَّت النعمى علىَّ بسيمة فأبعدنى عنها وضيع الوسائل
ورفض لئيم كاشح القلب حاقد منالى أرزاق بهمة عامل
بكت بلدتى حزناً على وحسرةً وأحزن ما أبصرت دمع المنازل
وكم ندبتنى فى حماها ضريرةٌ
تنوح بصوت خافت الصوت ذابل
وشيخ أبىٌّ الدمع إلا بمحنتى وفى ثوبه مجد الكرام الأماثل
هما والداى الصالحان : كلاهما على شدة البأساء موئل سائل
فيا ربِّ إما نعمة من حصافتى وإما حياةٌ فى حماقة جاهل !!

٢ — الطلل الباكى

لو أستطيع البكا بأيها الطللُ بكيت حتى شكت من دمعى المقل
أرى الحوادث ذؤباناً مقذفةً علىَّ دون انورى تعدو وتقتتل
فكم تصوَّح عودى بعد نضرته وكم خبا فى دياجى عيشى الأمل
وكم دعت لى أمى وهى باكيةٌ وكم دعا لى أبى يقظان يبتهل
وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم وكلهم بمجالى رقتى خفل
حتى إذا سلموا للعود وانصرفوا
سريت جوعان يفرى عزمى الطلل
جوعان! يا محنةً أربت على جلدى كأن ليلى يوم البعث متَّصل
كأن حظى رحيق الدهر يشربها بكراً معتقة فالدهر بى ثمل
فإن تطلبت عيشى مت من كمد وإن تطلبت حينى يبعد الأجل

٣ — اليأس

أذله الدهر لا مال ولا سكن فتى تزيد على أنفاسه المحن
إذا سمى فجميع الأرض قبلته وإن أقام فلا أهل ولا وطن
مهاجر بين أقطار الأسى أبداً كأنه بيد الأرزاء مرتهن
كأنه حكمة المجنون يرسلها من غير قصد فلا تصغى لها أذن
ثيابه كأمانيه ممزَّقةٌ كأنها وهو حى فوقه كفن
هو الهدى صرفتكم عنه محنته إن العزيز مهين حين يمتحن
ألا فصونوه من عزمائه كرماً ولا تخلوه يورى شره الزمن
فرب عزم يثير البؤس فيصله فيتبرى لسبيل الشر لا يهن

٤ — مصرع الحظ

حظى ومصرعه فى لين أخلاقى ورفيض عطفى على قوى وإشفاقى
ومن حبته الطلى أخلاف نشوتها
عدا على الكأس طوراً أو على الساق
بين النجوم أناس قد رفعتهمو إلى السماء فسدُّوا باب أرزاق
وكنت نوح سفين أنشئت حرماً للعالمين فجازونى بإغراق
وكم وقيت الردى من بتُّ مضطرباً
فى أسره المرّ لم أظفر بإطلاق
يا أمة جهلتنى وهى عالمةٌ
أن الكواكب من نورى وإشراق
أعيش فيكم بلا أهل ولا وطن كعيش منتجع المعروف أفاق
وليس لى من حبيب فى ربوعكمو إلا الحبيبين : أقلامى وأوراق

ريشت لحظي سهام من نميمتكم ... فصارعتني وما لي دونها واق
لم أدر ماذا طعمتم في موائدكم ... لحم الذبيحة أم لحمي وأخلاقي
قالوا : غويٌّ شقيٌّ قلت يا عجبا ... قد امتُحنت بكفار وفساق
وما تألمت من خطب ضحكت له ... كما تألمت من خطبي بمشاق
أنا على القرب منهم كل متعتهم ... وإن نأيت حبوني فيض أشواق
فالحم قد أشاعوا كل مخجلة ... عني ، وقد أعلنوا بؤسي بأبواق
كصاحب الطير لا ينفك يسجنه ... سجنين من قفص معنى وأطواق

حظي هو الأيكة الخرساء ذابلة ... هو النسيم سموحاً غير خفاق
هو السحاب جهاماً والندى أسفاً ... هو الضياء لهيباً حين إحراق
كأنه أدرع شلاء راحتها ... أو أنه أعين من غير أحداق
لا تسألوني عن بؤسي وعلته ... سلوا به الحظ ميتاً فوق أعناقا

والسلام عليك يا صديقي ما انبعث أنين ، وصرخت شكوى والتهبت صدور .

(المنصورة)

علي متولي صالح

إعلان

مجلس مديرية البحيرة

إدارة الهندسة القروية

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة رئيس مجلس مديرية البحيرة (إدارة الهندسة القروية بدمنهور) لغاية ظهر يوم السبت الموافق ٢٦ يونيو سنة ٩٤٣ عن أعمال التعديلات اللازمة لمستشفى المغازي باشا بتفتيش المغازي مركز المحمودية ويمكن الحصول على المواصفات والرسومات من المكتب المذكور مقابل مبلغ ١ جنيه و ٦٠٠ مليم وذلك بخلاف مائة مليم أجرة البريد

وتقدم العطاءات مصحوبة بتأمين ابتدائي يوازي ٢ ٪ من قيمتها ويقدم طلب الحصول على الرسومات والمواصفات على ورقة تمغة فئة ثلاثين مليما ٧١٩

وزارة المعارف العمومية

إدارة المباني

إعلان

تعلن وزارة المعارف العمومية عن حاجتها الى استئجار منزل بحي الدرب الأحمر (لجعله مدرسة ابتدائية للبنين) تتوافر فيه الشروط الصحية والتعليمية ويكون محتويا على ٢٠ حجرة متسعة وفناء كاف لفسحة التلاميذ بخلاف المرافق الأخرى

فعلى من يرغب في تأجير منزله لهذا الغرض أن يقدم للوزارة طلبا (باسم حضرة صاحب العزة وكيل الوزارة المساعد) مشفوعا برسم يبين محتويات المنزل وموقعه

ومن يقع الاختيار على منزله يكون مستعداً لعمل الانشاءات والتعديلات والترميمات اللازمة . وقد تحدد يوم ٢٢ ـ ٦ ـ ٩٤٣ كآخر موعد لتقديم الطلبات . وللوزارة الحق في قبول أي طلب أو رفضه بدون ابداء الأسباب ٧٣٦